تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 3- سورة الصافات | من الأية 11 إلى 91

عبدالرحمن العجلان

الصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم خلقنا انا خلقناهم من طين لازد بل عجبت ويسخرون واذا رأوا اية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين - 00:00:00

فاذا متنا وكنا ترابا وعظاما لان لمبعوثون فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون في هذه الايات الكريمة من سورة الصافات يقول الله جل وعلا فاستفتهم هم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لاجب - 00:00:57

فاستفتهم اسأل المنكرين للبعث اشد واعظم خلقا خلق السماوات والارض والملائكة والامم السابقة قبلهم كانوا اولي قوة وكانوا اولي بأس وهذا شيء معروف لديهم لدى كفار قريش ان الامم السابقة - 00:01:48

كانت اقوى منهم واعظم خلقا فاذا علموا ان خلق السماوات والعرض ومن فيهما اعظم من خلقهم اعترفوا ان اعادة خلقهم مرة ثانية سهلة على الله جل وعلا انا خلقناهم من طين لازب - 00:02:41

لينظروا في اصلهم من ادم وادم من اين خلق من طين لازق وهل المخلوق من طين فيه صلابة وقوة وصعوبة على الله جل وعلا لانهم هم من ادم وادم خلق من طين - 00:03:22

وهذا الطين لازم لاصق يقال لزب يلزم لزوبا اذا لصق من باب دخل يدخل قال قتادة وابن زيد اللازم اللاصق وقال عكرمة اللازم اللزج وقال سعيد بن جبير اللازم الجيد - 00:03:57

الذي يلصق باليد قال مجاهد هو اللازم والعرب تقول طين لازب ولازم تبدل الباء من الميم واللازم الثابت كما يقال صار الشيء ضربة لازبي ومنه قول النابغة لا تحسبون الخير لا شر بعده - 00:04:43

ولا تحسبون الشر ضربة لازب. يعني لازم مستمر دائما وابدا الخير يأتي ويزول والشر يأتي ويزول كذلك فهذا تذكير لهؤلاء الكفار باصل خلقهم من اين خلقوا؟ من طين وهم قالوا ائنا متنا وكنا ترابا وعظاما اعنا لمبعوثون - 00:05:17

قال الله جل وعلا كنتم ترابا وعظاما تبعثون الم تكونوا من قبل اصلكم قبل ان تخلقوا من تراب خلقتم من تراب خلقتم لاول مرة من تراب فالخلق في المرة الثانية اسهل وايسر على الله جل وعلا والله جل وعلا لا يعجزه شيء - 00:05:53

قال ابن عباس رضي الله عنهما لازم ملتصق يعني يلصق وقال اللزج الجيد وقال اللازم والحمى والطين واحد كان اوله ترابا ثم صار حمأ منتنا ثم صار طينا لازبا فخلق الله منه ادم - 00:06:29

وعن ابن مسعود رضي الله عنه اللازم الذي يلصق بعضه ببعض والاية تشهد عليهم بالظعف يعني بظعفهم ظعف الكفار ضعف كفار قريش لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالقوة والصلابة - 00:07:04

ما خلقوا من حديد ومن نحاس وانما خلقوا من طين والطين او احتجاج عليهم بان الطين اللازم الذي خلقوا منه كان تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله - 00:07:30

حيث قالوا ائذا كنا ترابا وهم ينكرون البعث يقولون كيف نبعث اذا كنا ترابا قال الله جل وعلا اصلكم ماذا اصلكم من تراب وخلقتم من تراب وستؤولون الى التراب وتخلقون منه مرة ثانية - 00:07:54

وكفار قريش ينكرون المعاد. ينكرون البعث وهذه الاية دليل على سهولة البعث ويسره على الله جل وعلا ثم قال جل وعلا بل عجبت

ويسخرون بل عجبت قراءتان بفتح التاء عجبت - 00:08:22
وبضم التاء بل عجبت بل عجبت يا محمد من تكذيبهم وانكارهم لهذا الشيء الثابت بالادلة الواضحة او بل عجبت وبضم التاء يكون الظمير الى الله جل وعلا بل عجب الله جل وعلا من انكارهم - 00:08:57
مع قيام الادلة الواضحة ويصح ان يقال كما قال بعض المفسرين رحمهم الله قل لهم يا محمد بل عجبت فيكون العجب يؤول الى محمد صلى الله عليه وسلم بل عجبت انت يا محمد - 00:09:39
من انكارهم وتظن ان من بلغته هذه الادلة لا ينكر والاعجب من ذلك انهم لا ينكرون فقط ويكذبون بل يستسخرون يسخرون بل عجبت ويسخرون مع تكذيبهم يسخرون يسخرون بك وبالايات النازلة عليك - 00:10:03
او قل لهم يا محمد بل عجبت انا من تكذيبكم يعني عجب محمد صلى الله عليه وسلم من التكذيب وعلى هذين يكون العجب منسوب الى النبي صلى الله عليه وسلم - 00:10:35
بل عجبت ويسخرون يقول الله جل وعلا بل عجبت من كفرهم وتكذيبهم وسخريتهم والامر جلي واضح ويكون على هذه القراءة برفع بضم التاء اثبات العجب لله جل وعلا والعجب ثابت لله جل وعلا في السنة - 00:11:00
وعلى هذه القراءة في القرآن قال الفراء رحمه الله قرأها الناس بنصب التاء ورفعها. بل عجبت هل عجبت بل عجبت يقول والرفع احب الي لانها عن علي وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس - 00:11:37
قراءة الرفع منصوبة منسوبة الى هؤلاء الصحابة الكرام رظي الله عنهم علي وعبدالله بن عباس وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم والله جل وعلا يعجب كما ثبت والعجب لله جل وعلا يليق بجلاله وعظمته - 00:12:08
والعجب للمخلوق على قدره وقد ورد في السنة قوله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غياره ينظر اليكم ازلين قنطين فيظل يضحك يعلم ان فرجكم قريب - 00:12:39
حديث حسن اورده شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في العقيدة الواسطية والعجب باللغة وفي التعريف الاصطلاحي هو استغراب الشيء واستغراب الشيء ويكون ذلك لسببين خفاء الاسباب على هذا المستغرب للشيء المتعجب منه - 00:13:07
بحيث يأتيه بغتة بدون توقع وهذا مستحيل على الله جل وعلا لان الله بكل شيء عليم لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اذا فالسبب الاول من اسباب وجود العجب - 00:13:49
لا يليق بالله جل وعلا لانه نتيجة عن خفاء السبب الله جل وعلا لا يخفى عليه شيء السبب الثاني ان يكون السبب فيه خروج هذا الشيء عن نظائره وعما ينبغي ان يكون عليه - 00:14:16
بدون قصور من المتعجب بحيث يعمل عملا مستغربا لا ينبغي ان يقع من مثله من هو الذي يعمل عملا مستغربا المتعجب منه وهذا ثابت لله جل وعلا لانه ليس عن نقص من المتعجب - 00:14:43
ولكنه عجب بالنظر الى حال المتعجب منه يعني يتعجب من حال الكفار كيف تقوم الادلة الواضحة العقلية والنقلية على امكانية البعث ومع ذلك ينكرونه ويتعجب من حالهم وعرفنا ان التعجب والعجب يأتي لسببين - 00:15:12
احدهما خفاء السبب على المتعجب وهذا يتأتى في المخلوق مثلا طالب طيلة ايام الامتحان مثلا مهمل مفرط قبيل الامتحان بعشرة ايام جد واجتهد وحفظ الوقت كله بالمذاكرة فلما خرجت النتيجة وجد الاول بين زملائه - 00:15:50
فنتعجب انا وانت كيف انه في اثناء العام الدراسي معروف لدينا بالتساهل والاهمال وعند ظهور النتيجة الاول لانه خفي علينا السبب لا ندري وش الاسباب هل كذا او كذا او نتهم المصححين او نتهم كذا لا - 00:16:30
ما ندري وش الاسباب لكنه في الحقيقة جد واجتهد ثم خرج في ايام ذي بعد ظهور النتيجة هو الاول انا اتعجب من هذا لكن هل الله جل وعلا يتعجب من مثل هذا؟ مثل هذا العجب؟ لا - 00:16:53
لان الله جل وعلا لا تخفى عليه خافية مطلع عليه وهو يسهر الليل يذاكر النهار يذاكر بالليل والنهار ويطلع عليه جل وعلا السبب ظاهر لله لكنه خفي علي وعليك. فنحن نتعجب كيف فلان - 00:17:14

خرج الاول بينما هو معروف لدينا بالتساهل والاهمال الثاني السبب الثاني للعجب خروج هذا الشيء عن نظائره وعن ما ينبغي ان يكون عليه بدون قصور من المتعجب الله جل وعلا يتعجب من كفار قريش - 00:17:33

فيه من هو اعقل منهم وفي من هو مساو لهم وفي من هو اقل منهم ادراكا من بعضهم وامنوا بالبعث وصدقوا به. وهؤلاء على عنادهم وجحودهم هذا يستدعي العجب من حالهم. كيف حالهم؟ العجب عليهم - 00:18:03

لا ان المتعجب الذي هو الله يخفى عليه السبب لا وانما ينبغي ما داموا من صناديد قريش ومن عقلائهم ويرجع اليهم في الرأي والمشورة ومعروفين لدى الناس العقل والرزانة والادراك - 00:18:33

كيف ينكرون البعث وقد امن به من هو امكن منهم عقلا ومن هو مساو لهم ومن هو اقل منهم يعني هذه الحال انكارهم للبعث يستدعي العجب يعجب الله جل وعلا من ذلك. والله جل وعلا لا تخفى عليه خافية - 00:18:52

عرفنا الفرق بين السببين الداعيين للعجب يعني ينبغي ان يكون مثلا لو المسألة بالرأي كان ينبغي ان يكون ابو جهل الذي يثنى ابو الحكم ان يكون من اول من يبادر لاعتناق الاسلام وقبوله وقبول دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لانه عنده عقل وادراك - 00:19:17

والرسول صلى الله عليه وسلم يعرفونه معرفة حقيقية انه ليس بكذاب وانه من اعقل الناس ومن اذكى الناس ومن اجود الناس ومن امن الناس ومن اصدق الناس صلوات الله وسلامه عليه - 00:19:45

فهو لا ينبغي ان يكذب ولا ينبغي ان ترد دعوته ثم كيف يستصعبون على الله البعث والله جل وعلا خلقهم من العدم من تراب فلا يستصعب على الله جل وعلا وقد اوجد الشيء من اول وهلة - 00:20:02

يستصعب عليه الاعادة تعالى الله ويستصعب عليه فيستدعي حالهم تستدعي العجب حيث انه ينبغي وكان الاولى والاجدر ان يكونوا اول المصدقين بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به في حال ابي بكر رضي الله عنه - 00:20:25

كان كلما قال النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه فلقب رضي الله عنه بالصديق لانه ما توقف في شيء ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم الحديث والسنة والقرآن دلتا على اثبات العجب لله جل وعلا على ما يليق بجلاله وعظمته - 00:20:52

وليس عجب الله جل وعلا كعجب المخلوق وانما عجب الله جل وعلا من حال المتعجب منه كيف يكون كذا وكان ينبغي ان يكون على هذه الحالة الحسنة اذا بل عجبت - 00:21:23

اذا كان اسناد العجب الى محمد صلى الله عليه وسلم فمعناه ان محمد يعجب من حالهم كيف ينكرون البعث ويسخرون من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عسرد العجب الى الله جل وعلا كما هي قراءة - 00:21:50

ثلاثة من الصحابة رضي الله عنهم بل عجبت يعني ان الله جل وعلا يعجب من حالهم كان الاجدر بهم ان يكونوا اول المصدقين بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به - 00:22:12

فحالهم تستدعي العجب لانه ينبغي الا يكونوا كذلك وانما ينبغي ان يكونوا كذا. من المؤمنين المصدقين بالبعث بل عجبت او بل عجبت ويسخرون. ومع والعجب كذلك من سخريتهم انهم لا ينكرون - 00:22:31

لان بعض الناس اذا القي عليه الخبر اليقين الذي لا شك فيه كذبه وهذا امر صعب وهذا امر صعب تكذيب الحق وتكذيب الصدق صعب لكن اصعب منه ان لا يقتصر على التكذيب فقط بل يسخر - 00:22:54

ويستهزأ وهذا افظع واشد يعني التكذيب بالحق غير مقبول واصعب من ذلك السخرية بالحق بل عجبت ويسخرون يقول انظروا الى هذا الرجل يقول فاذا كنا ترابا وعظاما يقول انا لمبعوثون - 00:23:22

يعني يسخرون من هذا واذا ذكروا لا يذكرون. يعني حالهم السخرية. واذا ذكروا وعظوا وبين لهم الحق وقيل لهم انظروا الادلة العقلية انظروا الادلة السمعية انظروا الى كلام الله جل وعلا الذي لا ينطق عن الهوى - 00:23:50

كلام الحق انظروا الى كلام الرسول صلى الله عليه وسلم الذي هو الوحي الثاني لا يذكرون ولا يقبلون عن الحق واذا ذكروا لا يذكرون ثم واذا رأوا اية يستسخرون. قال ابن عباس رضي الله عنهما كانشقاق القمر - 00:24:18

اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم اية بعدما طلبوها انشقاق القمر يعني صار القمر قطعتين يرونه في السماء فلما حصل هذا بدأوا يسخرون قالوا سحرنا محمد سحرنا على عيوننا عطاء اعطانا شيء - 00:24:54

جعلنا ننظر الى القمر وصلتين وهو شيء واحد فكانوا يسألون المسافرين والذين يقدمون اليهم من بعيد هل رأيتم القمر ليلة كذا وكذا بهذا الشكل يقول نعم رأيناه وهم ليسوا بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يلق على اعينهم شيء. بل هذا حقيقة - 00:25:24

اية معجزة اوجدها الله جل وعلا. لمحمد صلى الله عليه وسلم. ومع ذلك ما كفى منهم انهم كفروا بذلك. بل يستسخرون وهذه يستسخرون اشد من كونهم يسخرون المراتب متعددة واحد - 00:25:51

يكذب بالحق وهذي مصيبة الثاني يكلم ويسخر بنفسه يسخر بالحق ويستهزئ بالحق وهذه اعظم من الاولى الثالثة انه ينادي في الناس يكذب ويسخر وينادي في الناس. اسخروا من هذا الرجل يقول كذا وكذا - 00:26:14

فيستسخرون يطلبون السخرية من الاخرين واذا رأوا اية يستسخرون يطلبون السخرية ما يكفي انهم يسخرون بانفسهم وانما يطلبون السخرية من الاخرين واذا رأوا اية يستسخرون وزيادة المبنى تدل على زيادة - 00:26:44

المعنى الاولة يسخرون والثانية يستسخرون يعني يطلبون السخرية مثل يستوهبون يطلبون الهبة وقالوا ان هذا الا سحر مبين قال الكفار النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي اتيت به الا سحر - 00:27:18

مبين يعني بين واظح جلي يزعمون ذلك وهذا الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحق وعظاما ائنا لمبعوثون هل يعقل اننا اذا متنا وصرنا خلطا مع التراب - 00:27:54

تبعث مرة اخرى ومع ذلك تقول يا محمد انكم انتم واباؤكم الاولين. اباؤنا الذين ماتوا من مئات السنين او من الاف السنين. بعد يبعثون كذلك اوعى اباؤنا الاولون يستغربون هذا - 00:28:21

ويستبعدونه وليس ببعيد. هذا معقول معقول عقلا قبل وجود الشرع لان القادر على الايجاد اولا قبل ان يكون الشيء قادر من باب اولى على ايجاده بعد ثنائه من باب اولى - 00:28:49

قال الله جل وعلا قل يعني قل يا محمد نعم تبعثون انتم واباؤكم الاولون وماذا وكيف تبعثون يبعثون وانتم داخرون. وانتم اذلة يحشرون على وجوهكم وانتم ذاخرون وانتم صاغرون لا تظنون انكم تبعثون على حالتكم هذه في الدنيا عندكم جبروت وعظمة - 00:29:11

وتعالي وتكبر لا بل تبعثون اذلة يبعثون صاغرون حقيرون المتكبرون يحشرون يوم القيامة امثال الذر مقابل تكبرهم في الدنيا يذلهم الله جل وعلا في الدار الاخرة قل نعم يبعثون ولا شك في ذلك - 00:29:50

وانتم داخرون تبعثون وانتم صاغرون وليست المسألة ترجع اليكم او تستشارون في هذا او ينظر في امركم هل تقبلون او لا تقبلون؟ بل تبعثون وانتم صاغرون وانتم داخرون وليس الامر بصعب - 00:30:21

ولا يحتاج الى تطويل ولا الى مشقة ولا الى احضار مواد لتجتمع المواد التالفة ولا الى الات جامعة اجمع ما تفتت من الاجسام والعظام لا ما يحتاج الى شيء من هذا ابدا وانما هي - 00:30:48

زجرة واحدة صيحة فقط مثل ما يصيح الراعي على ابله صيحة من الملك فاذا هم قيام ينظرون الله الله اكبر فانما هي صيحة واحدة زجرة واحدة يعني الزجرة وسميت الصيحة زجرة لانها فيها معنى الزجر - 00:31:13

مثل ما يصيح الراعي في ابله يزجرها فانما هي زجرة واحدة الا يحتاج الى مقدمات ولا تحتاج الى صيحة اخرى هي زجرة واحدة فقط فاذا هم قيام ينظرون ينظرون بابصارهم - 00:31:43

وينظرون الى ما اعد لهم من العذاب ينظرون الى الاهوال العظيمة ذلك الموقف في ذلك الموقف وفي ذلك اليوم فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون هذه الايات وهذه الادلة يسوقها الله جل وعلا - 00:32:09

لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد كانه يشاهدها لانها اخبار صادقة لا مجال للشك فيها والعاقل لا يستصعب ولا يستبعد ولا يستغرب شيء بقدرة الله جل وعلا - 00:32:37

الله جل وعلا يسوق هذه الايات على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ينزلها على محمد صلى الله عليه وسلم يتلوها على كفار قريش ليخبرهم لماذا سيكون في الدار الاخرة - 00:33:04

لان هذه الحال ستكون في الدار الاخرة جل وعلا بين تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وحالتهم يوم القيامة هذه بعد هذه مباشرة قوله اذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او اباؤنا الاولون - 00:33:25

قال الله جل وعلا قل نعم وانتم داخرون فانما هي زجرة واحدة بس ما تحتاج الى تطويل ولا استدعاء ولا طلب الات ولا معدات ولا مواد خام ولا مواد مجمعة - 00:33:54

فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون ولم يقل فاذا هم موجودون او خارجون فاذا هم ينظرون باعينهم تشاهدون الامر مشاهدة واضحة مشاهدة نظر عاد حينئذ في ذلك الوقت هل يستطيع ان يكذبوا وهم ينظرون - 00:34:22

هذه ادلة واضحة وجلية على ثبوت البعث ولا ينكر البعث الا كافر كما قال الله جل وعلا زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله - 00:34:49

يسير سهل ما دام انه لا يحتاج الا الى زجرة من الملك كذلك سهل انما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:35:11